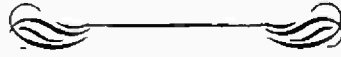


٢٥. كن من أهل المعروف...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن "المعروف ضد المنكر".^(١)
وعلى هذا يا بني يشمل المعروف كل أوجه الخير، ومكارم الأخلاق،
وكل ما أمر به الرحمن.

وأهل المعروف هم: من التزموا بفعل كل ما أمروا به، حتى عُرفوا به،
وعُرف بهم.

وهم لا ينتظرون من الخلق مقابل أفعالهم، فهم لا ينتظرون مقابل الخير
خيرًا، ولا مقابل الحسنة حسنة، ولا حتى ذكر أفعالهم، وإلا أشبهوا التجار.
وأهل المعروف يا بني هم محل عناية الله تعالى، وهم أحبابه، وأولياؤه،
الذين لا خوف عليهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فهم محل أمانه، وتفضل
رضوانه.

لا يفرعون حين يفرع الناس، ولا يحزنون حين يحزن الناس.

بل هم أمان لمن يفرع إليهم، يعطون من يسألهم، ويحييون من يدعوهم،
ويعرفون لأهل الفضل حقهم. وكأنهم هم المعنيون بقوله - ﷺ -: "مَنْ
اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ صَنَعَ

(١) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري / لسان العرب /
بيروت دار الفكر ط الأولى ١٩٩٠م ٢٣٩/٩ والقاموس المحيط ٣/ ١٦٨ محمد بن أبي
بكر بن عبد القادر الرازي / مختار الصحاح / القاهرة مؤسسة المختار ط الأولى ٢٠٠٧م
ص ٢٥١.

نصيحة

إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ". (١)

وقد دعا النبي - ﷺ - لكل من فعل معه خيراً وعرف له قدرًا، مع أن النبي - ﷺ - هو صاحب المنّة على كل موحد، ولا يجب عليه تجاه أحد شيئاً، بل هو الموجب عليهم تقديره ومحبته وطاعته وتوقيره.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْحُلَاءَ فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقَّهِهُ فِي الدِّينِ". (٢)

وفي رواية أخرى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَيْتٍ مَيْمُونَةٍ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا مِنْ اللَّيْلِ قَالَ فَقَالَتْ مَيْمُونَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَضَعَ لَكَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقَّهِهُ فِي الدِّينِ وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ". (٣)

وفي غزوة أحد وعندما كان سعد بن أبي وقاص يرمي سهامه مدافعاً عن النبي - ﷺ - : "اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمِيَّتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ". (٤)

ودعا لأنس بن مالك رضي الله عنه الذي خدّمه عشر سنين قائلاً :
"اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ". (٥)

اعلم يا بني أن أهل المعروف هم قوم رقت قلوبهم لله تعالى ولعباده،

(١) رواه أبو داود والنسائي من حديث ابن عمر.

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه أحمد والحاكم في مستدركه وابن حبان.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه.

(٥) رواه أحمد والبيهقي وابن حبان من حديث أنس.

يحنون على الضعفاء، ويواسون أهل البلاء، ويدخلون البسمة على التعساء.
وأهل المعروف هم أهل العافية والنجاة من مصيبات الدهر، وإنهم
مذكورون معروفون به يوم القيامة أيضاً.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: " صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعُ الشُّوءِ وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ، وَإِنَّ أَهْلَ
الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ " (١).

وكذلك يا بني من عُرف بالمنكر في الدنيا، فإنه موصوم به يوم القيامة
فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (٢) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "...
وَإِنَّ أَهْلَ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ " (٣).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صنوان متلازمان ...

اعلم يا بني أن الله تعالى لم يذكر الأمر بالمعروف إلا وذكر معه النهي عن
المنكر وكأن الأمر بالمعروف، والفاعل له، يجب عليه أن يكون ممن ينكر
المنكر وينهى عنه، فضلاً عن اجتنابه، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
[آل عمران : ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

(١) رواه الحاكم في مستدركه، وصححه الألباني .

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، ولد العام ١٤ هـ وتوفي
العام ٩٤ هـ كنيته أبو محمد، يعد سيد فقهاء المدينة والتابعين، روى عن كثير من الصحابة
وبعض أمهات المؤمنين، كان شديداً في دين الله، لا يهاب أحداً، رفض أن يزوج ابنته لابن
عبد الملك بن مروان والي المدينة في ذلك الوقت، وزوجها لرجل فقير، ذو صلاح، وكان
أحرص الناس على صلاة الجماعة.

(٣) رواه البيهقي

نصيحة

عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران ١١٤ - والتوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].
وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

مقدار المعروف...

اعلم يا بني أن المعروف الذي أريدك أن تكون من أهله وفاعليه ليس بالأمر المكلف، ولا المرهق، وليس فوق طاقة البشر، بل يتحقق وجوده بأقل الفعال الصالحة، التي قد يحتقرها - لقلتها - عامة الناس ويستصغرونها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ " ^(١) فما كلفة التبسم في وجوه الناس؟.

ما كلفة البشاشة وإدخال السرور على الآخرين؟

ما كلفة الكلمة الطيبة، ولين الكلام، وإدخال الطمأنينة على قلوب الآخرين؟

إن المعروف يا بني ليس - فقط - بإنفاق المال، ولا بعظيم الفعال.

فيمَن تصنع المعروف؟

اعلم يا بني أن من يفعل المعروف ابتغاء وجه الله تعالى لا يعنيه أين يضع معروفه؟ لأنه لا يبتغي من الناس الجزاء، بل من الله وحده.

فإن فعلَ المعروف وصادف أهله، فيها ونعمت، وإن لم يصادف أهله فهو أهل للمعروف والإحسان.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ: لَا تُصَدِّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا تُصَدِّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَا تُصَدِّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي غَنِيِّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقَ عَلَى غَنِيِّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيِّ، فَأَنِّي فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرَقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ، فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زَنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَغْتَبِرُ، فَيُفْنِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ". (١)

أما نكران الفضل والمعروف فهو خلق اللئام، الذين لا يقرون بفضل غيرهم، ولا جميل صنيعه إليهم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ". (٢)

وَيَذَلِكَ يَقُولُ الْمُتَنَبِّي:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته . وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

(١) رواه البخاري واللفظ له ومسلم وأحمد والنسائي .

(٢) رواه أحمد والبيهقي وابن حبان .

نصيحة

إن نكران المعروف والتقليل من شأنه ممن فعل فيه، يجعل بعضاً من أهل المعروف يزهد فيه ويتركه، بل ويندم عليه، عندما يجد مقابل فعالة الصالحة النكران والجحود والجهل عليه، والاستخفاف به.

قال زهير بن أبي سلمى :

ومن يصنع المعروف في غير أهله .: يكن حمده ذمّاً عليه ويندم

وقال الشاعر:

وزَهَّدني في كلِّ خيرٍ منعتهُ .: إلى النَّاسِ ما جَرَّبْتُ من قَلَّةِ الشُّكْرِ

وهناك قصة تبين خطورة أن يفعل الإنسان الخير في غير أهله، وهي أن قوماً خرجوا إلى الصيد، و بينما هم في عرض الصحراء إذ خرجت عليهم ضبع، فطاردوها فهزبت منهم حتى دخلت إلى خباء أعرابي. فخرج إليهم الأعرابي وقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صيدنا وطريدتنا، فقال: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت سيفي بيدي، وكان من أخلاق العرب أنهم إذا استجار بهم أحد لا يخذلونه. فرجع الصيادون وتركوه. فقام الأعرابي إلى شاة عنده فحلبها وقربه إلى الضبع، وقرب إليها إناء ماء فأقبلت تشرب مرة من هذا ومرة من ذاك حتى ارتوت واستراحت، وعادت لها الحياة ونامت.

فبينما الأعرابي نائم في جوف الليل إذ وثبت عليه، فبقرت بطنه، وشربت دمه وأكلت لحمه ثم تركته.

فجاء ابن عم له يزوره في الصباح وإذا به مجنول، وقد بُقر بطنه، وأكل قلبه، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها.

نصيحة

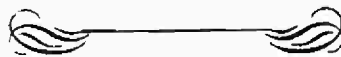
فقال: هي والله التي أجارها بالأمس، فأخذ قوسه وكنانته وتبعه. فلم يزل يبحث عنها حتى أدركها فقتلها. ثم بكى على ابن عمه عند جثتها وأنشأ يقول:

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ .: يُلَاقِ الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
أَدَامَ لَهَا حِينَ اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ .: لَهَا مُحْضَرُ أَلْبَانِ اللَّقَاحِ الدَّرَائِرِ
وَأَسْمَنَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَكَامَلَتْ .: فَرَتْهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَأَظْفَارِ
فَقُلْ لِلذَّوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ .: بَدَأَ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ شَاكِرٍ

وهناك قصة أخرى في ذات المعنى. حكى بعضهم فقال: دخلت البادية فإذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب. فقالت: أتدري ما هذا؟، فقلت: لا.

قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً، وأدخلناه بيتنا وربينا، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى، وأنشدت:

بَقَرْتُ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتُ قَلْبِي .: وَأَنْتَ لَشَاتِنَا ابْنَ رَيْبٍ
غَذَيْتَ بَدْرَهَا وَنَشَأَتْ مَعَهَا .: فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنْ ابَاكَ ذَيْبٍ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طَبَاعَ سُوءٍ .: فَلَا أَدَبَ يَفِيدُ وَلَا أَدِيبَ



من فوائد المعروف...

- ١- قرب فاعله من الله تعالى.
- ٢- الذكر الطيب في الدنيا والآخرة.
- ٣- صفة من صفات المؤمنين الصادقين.
- ٤- المعروف يقي صاحبه الميئة السوء.
- ٥- المعروف يقي صاحبه من الهلكات والآفات.
- ٦- المعروف يجعل صاحبه من الأخيار.
- ٧- المعروف يجعل صاحبه من المفلحين.
- ٨- المعروف يجعل صاحبه من الصالحين.
- ٩- المعروف يجعل صاحبه محبوباً مألوفاً عند الناس.
- ١٠- المعروف من عزائم الأمور التي لا يقوى عليها إلا شديد الإيمان.
- ١١- المعروف سبب لرحمة الله تعالى بفاعله.
- ١٢- المعروف سبب من أسباب التمكين في الأرض.

